الدلائل والبراهين على أن القرآن الكريم كلام رب العالمين جل جلاله

أ.د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فهذا تفريغٌ لمقطعٍ من أحد دروس الشيخ:

أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي -حفظه الله تعالى-

بيّن فيه الشيخُ -حفظه الله- الأدلّةَ والبراهين الدالّة على أنّ هذا القرآن الكريم كلامُ الله حقّا، وأنه تكلّم به سبحانه وتعالى صدقًا، وأنه أنزله على النبيّ الصَّادقِ المصدوق ﷺ.

وكان ذلك خلال شرحه لكتاب «عقيدة أهل السنّة والجماعة» للشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في المجلس السابع بتاريخ 12 رمضان سنة 1439 هـ.

○ قَالَ الشَّيخ صالح بن عبد العزيز سِندي - وَفَّقَهُ الله -:

وكنتُ قد وعدتُ أن نتكلَّم عن جُملةٍ من الدّلائلِ والبراهينِ التي تدلُّ على أنّ هذا القرآن كلامُ الله حقًا، وأنَّه تكلّم به سُبحانه صدقًا، وأنَّه أُنزل على النبيّ الصادق المصدوق ﷺ.

❑ من جملة تلك الأدلة:

۞ **أوّلًا:** أنّ الله سبحانه وتعالى تحدّى الخلائق جميعًا أن تأتيَ بمثل هذا القرآن، هذا التحدِّي قائمٌ منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام وإلى اليوم ما تجرَّأ إنسان على أن يأتيَ بكتابٍ كهذا الكتاب يزعُم أنّه يُضارِعه أو يُشابهه أو يُماثله.

قرآنٌ عظيمٌ متفرِّدٌ في كلِّ شيء: في لفظه، وفي نظمه، وفي بلاغته، وفيما تضمنته آياته من العلوم النافعة والمباحث الشريفة.

أن يأتي أحد بمثل هذا القرآن، اللهُ سبحانه وتعالى تحدّى بهذا وما تجرّأ أحد على ذلك، مع أنّ هذا التحدِّي قد بلغ العرب وهم في أوجِّ بلاغتهم ونشاطهم اللُّغوي وما استطاعوا مع هذا أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

نعم، كان منهم أنْ ادَّعوا دعاوى فارغة، ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:31]. لكن لمّا تحدّاهم اللهُ ﷻ أن يأتوا بمثل هذا القرآن: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:23] والله ما استطاعوا.

ثم انظر ماذا قال الله عز وجل بعد ذلك: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة:24]، عجيبٌ شأن هذا التحدّي، هذه الجملة كافية في أن تستثير هِمّتهم لينشُطوا في معارضة القرآن والإتيان بمثله، فهو يقول لهم: لم تفعلوا ولن تفعلوا، ومع ذلك خرسوا جميعًا وما استطاعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن، بلْ بمثل عشْر سور منه، بلْ بمثل سورة منه، أليس هذا دليلًا على أنَّه كلامُ الله حقًا؟

انظر إلى التحدي العظيم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:88]، لو تعاونوا واجتمعوا واحتشدوا، يُعين بعضهم بعضًا ويُظاهر بعضهم بعضًا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، صدق الله، والله ما أتوا ولن يأتوا.

وهذه اليوم ألف وأربعمائة سنة مضت وهُمْ إنْسهم وجنِّهم خارسون، عاجزون، ما استطاعوا، هذا دليل على أنَّه كلام الله حقًا.

۞ الدليل الثاني: أنّ الله سبحانه وتعالى قد تكفّل بحفظ هذا القرآن، فكان محفوظًا بحفظ الله، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9] حفظه الله عز وجل وما استطاع أحد أنْ يُدخِل فيه ما ليس منه، ولو كان هذا حرفًا واحدًا. يعني: لو أراد أحد أن يحذف حرفًا من جملة آلاف من حروف القرآن، هل يستطيع؟ أو يُبدِّل حرفًا بحرف، ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ [البقرة:23]، لو أراد أحد أن يبُثَّ في النّاس مصحفًا يُغيِّر فيه فقط هذا الحرف الواو بالفاء: (فإن كنتم) يستطيع؟ والله ما يستطيع، ولا يمكن أن يروج هذا.

وفي مجلسنا هذا لو أنّني نطقتُ خطأً بآية فيها حرف واحد أخطأت فيه، بل أخطأت في حركة من حركاته سيكون في هذا المجلس عدد من الإخوة من ينبِّهُني على الخطأ، أليس كذلك؟ لأنَّ القرآن حَفِظَهُ الله سبحانه وتعالى.

إذن: هو على حاله منذ ألف وأربعمائة عام، كتاب عظيم فيه أربع عشرة ومائة من السور، فيه ستة آلاف ومائتين وست وثلاثين آية ومع ذلك هو محفوظ منذ أن أنزل على محمد ﷺ وإلى هذا اليوم كما هو، يحفظه الآلاف المؤلَّفة من البشر في كل جيل من الأجيال، يحملونه ويحفظونه في صدورهم، ويُدوِّنونه في المصاحف، محفوظ بحفظ الله عز وجل، هذا لا يمكن أن يكون في كلام إلا إذا كان كلام الله القدير العظيم سبحانه وتعالى.

۞ **الدليل الثالث:** أنّ هذا الكتاب سالمٌ من وقوع خطأ، أو نقص، أو تناقض، أو اختلاف، مهما دقّ.

كتاب عظيم فيه هذا العدد من الصفحات والسور والآيات، ومع ذلك فما استطاع أحد مع كثرة أعداء المسلمين ومع كثرة المتربِّصين، فإنهم ما استطاعوا أن يثبتوا على هذا القرآن خطأً واحدًا، ولا معلومة ناقصة، ولا شيئًا من التعارض والتناقض والاختلاف، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82]، لكنه من عند الله. إذن لا اختلاف فيه ولا تناقض. كتابٌ متشابه يشبه بعضه بعضًا ويصدق بعضه بعضًا.

إذن: هذا كتاب من عند الله عز وجل حقًا، ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:42].

۞ **الدليل الرابع:** أنّ هذا الكتاب العظيم اشتمل على جُملة من الآيات الكونية والنّفسية، أو ما يسمى في اللّسان المعاصر بالإعجاز العلمي العظيم.

وابتداءً أُنبِّه إلى أنّ القرآن ما نزل ليكون كتاب كيمياء أو فيزياء أو كتاب فَلَك أو كتاب تشريح، إنّما هو كتابُ هداية وكتاب صلاح وإصلاح، ومع ذلك فإنّه قد اشتمل على جُملة من البراهين والآيات التي تُرشد العقول والقلوب إلى أنه كلام الله عز وجل حقًا، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت:53].

هذا القرآنُ العظيم اشتمل على جملة من الأمور التي ما عرفها الناس إلا منذ سنوات قليلة، لا أقول منذ قرون قليلة، بل منذ سنوات قليلة، أخبر بذلك هذا القرآن الذي بلَّغه النبي ﷺ قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام. سبحان الله العظيم! فمن أين كان ذلك إلا إذا كان هذا كتابًا مُنْزَلًا من العليم القدير سبحانه وتعالى.

ما الذي أعلم النبي ﷺ بأنّ هناك أمواجًا عاتية في باطن البحر، ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ [النور:40].

من الذي أعلم النبي ﷺ بذلك؟ وهذا شيء يُفاخر علماء البحار والمختصون بهذا الجانب في هذه السنوات الأخيرة أنهم وصلوا إليه، والقرآن يُحدِّثنا بذلك منذ قرون طويلة.

من أين للنبيِّ ﷺ أنْ يعلم الأطوار التي يُخلَقُ فيها الإنسان، ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:14]، الله سبحانه وتعالى خلق ابن آدم في أطوار، ينتقل من طَور إلى طَور، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾

[الزمر:6]. هذا شيء ما عرفته البشرية إلا في هذا العصر الحديث، من أين عَلِمَ هذا رسولُ الله ﷺ وهو الأُمِّيُّ الذي لا يقرأُ ولا يكتُبُ؟

من أين علِم النبي ﷺ أنّ الريّاحَ لواقح؟

من أين علِم النبي ﷺ بأنّ هناك برزخًا دقيقًا بين البحرين؟ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن:20] وهو شيء ما اكتُشف إلا في هذا العصر الحديث.

من أين لرسول الله ﷺ أنْ يعلم أنّ صُعود الإنسان إلى الطبقات العليا يعني أن يَقِلَّ الأكسجين فيضيق الصدر لقلة الأكسجين الذي يتنفَّسُه الإنسان؟

من أين علِم رسول الله ﷺ وهو الذي بلغنا ما يدلُّ على هذا المعنى حينما أخبر سبحانه وتعالى بذلك: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام:125].

من أين لرسول الله ﷺ أن يَعْلَمَ أنّ هذا الكون يتوسَّعُ؟ هذه السماء في توسُّع مستمر، وهذا ما يحدِّثنا عنه العلم الحديث، وفي كتاب الله ﷻ : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:47]، كونٌ يتوسَّع، كيف عَلِمَ هذا رسولُ الله ﷺ في ذلك العصر البعيد، حيثُ لا تلسكوبات ولا مناظير ولا مكوك فضائي يصعد فينظر ويرصد، لم يكن شيء من ذلك، والله سبحانه وتعالى يخبرنا بهذا في كتابه الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ.

إذن: هذه جملةٌ، والمُتَتَبِّعُ يجد أكثر منها في كتاب الله سبحانه وتعالى تدلُّ العقول المنصفة على أنّ هذا القرآن كلامُ الله عز وجل حقًّا.

۞ **الدليل الخامس:** إخبارُ هذا القرآن بالأمور المُغيَّبة المستقبلَة، وهذا برهانٌ لا يجد العقل أمامه إلا أن ينصاع إلى أنّ الذي تكلم به هو الله العليم سبحانه وتعالى.

خذ مثلًا: النبي ﷺ بلَّغ الناسَ كلامَ الله ﷻ وفيه ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم:1-4].

تأمّل -أوّلًا- كيف أنّ النبي ﷺ تكلّم بهذا وبلّغ الأمة هذا مع أنّ هذا القرآن دليلُ النبيِّ ﷺ الأعظم على نبوته، وبالتّالي لو ثبت أنّ هذه الغلبة ما كانت في بضع سنين فإنّ هذا كافٍ في إسقاط دعوة الإسلام. ولذا لو كان هذا القرآن من عند غير الله، شيئًا تقوَّله رسول الله ﷺ -وحاشاه- والله ما كان ليغامر بإسقاط دعوته. لكن لما بلَّغ الناس هذا وأخبرهم بهذا، وأنّ الله سبحانه وتعالى قال بحدوث الغلبة في بضع سنين؛ تكلَّم النبي ﷺ بهذا ثم كان ما أخبر به سبحانه وتعالى في هذا القرآن.

○ **إذن: الدلالة هاهنا من وجهين:**

➢ **أولًا:** في مجرَّد كون النبي ﷺ يُبَلِّغُ هذا الكلام ابتداءً.

➢ **والوجه الثاني:** من جهة أنَّه قد حَدَثَ الذي أخبر به عليه الصلاة والسلام.

خذ مثلًا: النبي ﷺ قد بلَّغ كلام ربِّه جل وعلا وفيه ما قاله سبحانه وتعالى في شأن بني قينقاع: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران:12]، وقد وقع الذي أخبر به القرآن، غُلِبوا وهلكوا ومصيرهم إلى النار، تكلّم بهذا قبل وقوعه فكان ما أخبر به.

يخبر القرآن أهل الإيمان من أصحاب رسول الله ﷺ بأنهم سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسهم ومقصرين، وكان ما أخبر به سبحانه وتعالى، دخلوا المسجد الحرام آمنين محلِّقين رؤوسهم ومقصرين. في جملة من الأخبار المستقبلة التي لم تقع وأخبر القرآن أنها ستقع فوقعت كما أخبر.

ما كان هذا القرآن أن يُفترى من غير الله، بل هذا كلام الله حقًا.

۞ **بل خذ دليلًا قريبًا من هذا -وهو الدليل السادس-** وهو أنّ القرآن يخبر بأشياء أنها لن تقع في المستقبل، الدليل الماضي فيه أشياء أنها ستقع، الآن يخبر القرآن بأن هناك أشياء لن تقع، مع أنه من جهة الإمكان العقلي ومن جهة الاستطاعة من حيث الخبر الذي توجَّه إلى هؤلاء فإنه باستطاعتهم، ومع ذلك يخبر القرآن أنه لن يكون منهم ذلك، والله إنّ هذا لكافٍ في إثبات أنّ هذا القرآن كلام الله.

تأمّل، أخبر الله سبحانه وتعالى بخبرٍ في حقِّ أبي لهب عمِّ النبي ﷺ، ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾ [المسد:1-3].

هذه الآية: ﴿**سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾ [المسد:3] وما قبلها نزلت قبل وفاة أبي لهب بعدة سنوات. مفادُ هذه الآية: أنّ أبا لهب كافرٌ وسيبقى كافرًا، ولن يُسْلِمَ إلى أنْ يموت فيصْلَى بعد ذلك نارًا ذاتَ لهبٍ.

كون النبي ﷺ يخبر بهذا هذا لابُدَّ قطعًا أن يكون كلامَ الله، لِمَ؟ لأنّه لو كان من عند النبي ﷺ فلا يمكن أن يغامر هذه المغامرة؛ لأنه أبو لهب كان يكره النبي ﷺ ويكره دينه، ولذلك كان حريصًا على سقوط دعوته، فكان بإمكان أبي لهب أن يقف على مجامع الناس ويقول: محمد ﷺ يقول: إني سأموت كافرًا وأصلى نارًا ذات لهب. وها أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، يمكنه أن يقول هذا ولو كاذبًا فتسقط دعوة النبي ﷺ بالكلية، ومع ذلك ما فعل؛ لأنَّ الذي تكلّم بهذا هو الذي يعلم ما سيكون، ولأنّ الذي تكلّم بهذا هو الذي قلْبُ أبي لهب بين أصبعين من أصابعه يُقلِّبه كيف يشاء.

وقل مثل هذا في الوليد بن المغيرة الذي قال الله ﷻ في حقِّه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ [المدثر:11-12]، ثم قال بعد ذلك: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:26]، ما مفادُ هذا؟ أنه سيموت كافرًا، ومع ذلك كان باستطاعته أن يُكذِّب هذا القرآن لو كان هذا من عند غير الله فيقول: ها أنا أسلمتُ، ماذا ستقول؟ لكنه ما فعل.

إذن: هذه آية عجيبة.

خذ مثلًا في شأن اليهود، الله ﷻ أخبر عنهم في شأن محبتهم للحياة الدنيا وكراهتهم للموت ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة:95] يعني: الموت ﴿أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:95]، لو أنَّ يهوديًّا واحدًا وقف على رسول الله ﷺ وقال: ها أنا أتمنَّى الموت، انتهت الدعوة الإسلامية؛ لأنَّ هذا تكذيب للقرآن. القرآن يقول:

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة:95] ومع ذلك أُخْرِسُوا جميعًا، وما تجرّأَ أحدٌ أنْ يقول هذه الكلمة ولو على سبيل الكذب.

إذن: الذي أنزل هذا القرآن هو اللهُ العليمُ القديرُ سبحانه وتعالى.

۞ **الدليل السابع على أنّ هذا القرآن كلامُ الله عز وجل حقًا:** هو سموُّ تشريعاته وكمال أحكامه، وشمولها لكل مناحي الحياة، عجيب شأن هذا القرآن! ليس فقط أنه يجد فيه كل أحدٍ بُغْيَتَهُ ويقف فيه على ما يُبهره، كلُّ أحدٍ يُمكنه أن يَغْرِفَ من مَعين هذا القرآن علومًا عجيبة، يجد فيه الطبيب شيئًا مُبْهِرًا، يجد فيه اللُّغوي شيئًا عجيبًا، يجد فيه الأديب، يجد فيه المُتخصِّص في أمور النَّفْس والاجتماع وإلى آخره.

ليس هذا فقط، بل الموضوعات التي عالجها القرآن، المسائل التي دعا إليها، الأحكام التي قرّرها، التوجيهات التي وجَّهها شيء عجيب، شيء شامل لكل شيء، العلاقات الدولية، علاقة الحاكم بالمحكوم، أحكام الأسرة من زواج وطلاق وحضانة ونفقة وما إلى ذلك، الحدود، مسائل السِّلم والحرب، مباحث المعاملات وحدِّث ولا حرج، ناهيك عما يتعلّقُ بالعقيدة، ناهيك عما يتعلّقُ بالعبادة، ناهيك عما يتعلّقُ بالآداب، إلى أدقِّ ما يكون من الآداب، حتى الوقت الذي لابد فيه من الاستئذان ما أغفله القرآن.

علومٌ عجيبةٌ وأحكامٌ ساميةٌ شاملةٌ لكلِّ مناحي الحياة، ليس هذا فقط، بل إنها جميعًا تُحقِّقُ المصالح وتدرأُ المفاسد، وتحفظُ الضروريات، وتكفلُ السعادة للأفراد وللمجتمعات، كتابٌ عجيبٌ.

ولذلك الوليد بن المغيرة لما -وهو الذي تكلمنا عنه قبل قليل- سمع قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل:90] أصابته دهشة عظيمة من بلاغة هذا القرآن، فقال كلمة سارت بها الركبان، بل تناقلتها الأجيال، وصف هذا القرآن بوصف عجيب، كلمة حق نطق بها هذا الضال الكافر، قال: (إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه يحطم ما تحته، وإنه يعلو ولا يُعلى).

كلام عجيب في وصف هذا القرآن، وهذا الرَّجل لما يتكلّم وهو من الفصحاء البلغاء العقلاء فكلامه أصاب فيه عين الحقيقة، لكن سبحان الله العظيم الذي طمس على قلبه، مع معرفته بهذا ومع إقراره بذلك فإنَّه ما اهتدى إلى الحق، رجع فقال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر:24].

المقصودُ: أنّ ما تضمنه القرآن، ما اشتملت عليه آياته كافٍ لأن يُذْعِنَ كُلُّ مُنْصِفٍ بأنّ هذا القرآن تكلم الله عز وجل به حقًّا، لا يمكن أن يكون شخص مهما بلغ من الذكاء والعلم والفصاحة أن يأتي بمثل هذا القرآن، اليوم الناس إذا أرادت أن تضع نظامًا من الأنظمة يتعلّقُ بجزئية من الجزئيات، إذا أرادوا أن يُنظِّموا شيئًا من مناحي الحياة ماذا يصنعون؟ يُشكِّلون لجنة من كبار الشخصيات وحملة الشهادات والخبراء، واللجنة يتبعها لجنة وبعد ذلك لجنة فاحصة، وبالكاد

يخرجوا بنظام يُنظِّم شيئًا ما، ومع ذلك فإنّ هذا النظام ربما عادوا إليه بعد سنوات يعيدون فيه النظر ويجدون فيه ثغرات. لكن القرآن نظامٌ شاملٌ لِكُلِّ ما يُسعد الأفراد والمجتمعات، بل يكفل الخير لهذا الكون كله، ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء:112]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:115]، لا يحتاج الناس بعده إلى شيء، إذا ضمَّ الإنسان إليه سنة رسول الله ﷺ فإنه والله بعده لا يحتاج إلى شيء في كل شيء من مناحي الحياة، هذا الكتاب جمع بين دِفَّتيْه ما يسعد الإنسان في الدنيا وفي الأخرى، في دنياه وفي دينه.

۞ **أيضًا من الدّلائل والبراهين على أنّ هذا القرآن كلام الله حقًا -وهو الدليل الثامن-:** أنّ هذا القرآن مُوافق للعقول والفِطَر، ولذا ما سمعه أو سمع آياته أحد وعَقِل ذلك إلا وسلَّم بأن هذا الذي تُلِي عليه معقول ومقبول.

لا يمكن أن يأتي القرآن بأمر فيقول العقل: لَيْتَهُ ما أمر به، ولا يمكن أن ينهى عن شيء فيقول العقل: لَيْتَهُ ما نهى عنه. وهذا من أعظم الدلائل والبراهين على أنه كلام الله عز وجل؛ لأن الله هو الذي تكلّم بهذا الكلام، وهو الذي خلق الخلق، وهو الذي أعطاهم هذه العقول، فكانت هناك ملاءمة بين ما تكلم الله سبحانه وتعالى به في هذا القرآن وبين ما تقبلُه العقول وتسلِّم به الفطر.

إذن الذي يؤمن بهذا القرآن يجد في قلبه طمأنينة وراحة وسكينة، ليس هناك شيء معقَّد أو صعب الفهم، أو تنبو عنه الأفهام، أو تنفر منه الفِطَر، ليس هناك شيء من الأشياء التي في الكتب المحرَّفة التي تُزعم بأنّ كُلّ ما فيها كلام الله ﷻ، وبالتّالي اشتملت على أشياء كثيرة لا تقبلها الفِطَر ولا تسلم بها العقول، ويحتاج

أربابها أن يركبوا الصعب والذلول لأجل تأويلها وتحريفها وصرفها عن ظاهرها، لا يُحتاج إلى شيء من ذلك في كلام الله سبحانه وتعالى، كلّه موافق للعقول والفِطَر، تطمئن إليه وتسكن إليه وتقبل ما فيه.

۞ **الدليل التاسع على أنَّ هذا القرآن كلام الله حقًا:** تأثيرُه العجيب على النفوس، القرآن له سلطان وأيُّ سلطان على القلوب، يؤثر فيها تأثيرًا عجيبًا، ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ [الحشر:21]، ليس على القلوب قلوب الناس الضعيفة، بل والله لو نزل على جبل كله صخر وثابت راسخ ومع ذلك فإنه يتصدَّع لهذا الكلام العظيم، ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ [الزمر:23]، ولذلك لا يسمع أحدٌ بهذا القرآن وهو يُنصت إليه ويفرِّغ قلبه له إلا ويجد في نفسه أثرًا عظيمًا لهذا القرآن، هو حقًّا يهدي للتي هي أقوم، بشرى للمسلمين، يصلح القلوب ويهذِّب الأخلاق ويزكِّي النفوس.

بل والله إنّ تأثير هذا القرآن يقع حتى على الكفار الذين ما آمنوا به بعد، وهذا شيء وقفنا عليه حقيقة وسمعنا أخبارًا من الناس في هذا، يجدون راحة طمأنينة أن يسمعوا هذا القرآن حتى ولو كانوا لا يفهمون منه شيئًا، ولن تجد أبدًا كلامًا لبشرٍ له مثلُ هذا التأثير.

ولذلك **من خصائص هذا القرآن:** أنه لا يَخْلَق مع كثرة الردِّ. كم مرة يختم المسلم القرآن؟ يختمه مرات كثيرة، إذا كان على صلة به وإذا كان قائمًا بحقِّه فإنه يختمه مرات كثيرة، ومع ذلك هل يجد في نفسه أنه قد مَلَّ منه؟ وإلا كأنَّه يقرؤه أوّل مرة؟

كم مرة -يا رعاك الله- قرأتَ سورة تقرؤها كثيرًا في صلاتك وفي خارج صلاتك ثم إذا بك تقف أمام آية في هذه السورة تقول: عجيب معنى هذه الآية، كأنّي أسمعها أول مرة، مع أنّك تلوتها كثيرًا، ومع ذلك تجد أنّ آثار هذا القرآن تتجدد في النُّفوس، سبحان الله العظيم!

أرأيتم لو أنَّ أبلغ البلغاء وأعظم الأدباء كتب قصة جميلة بلغت الغاية في الجمال، ثم قرأتها المرة الأولى كيف شعورك؟ تشعر بجمالها ولذة في نفسك، وإذا قرأتها مرة ثانية كيف تجد في نفسك؟ وإذا قرأتها الثالثة والرابعة والخامسة إلى العاشرة كيف سيكون الوضع؟ سيبلغ الملل بك حدًّا، يعني: أكثر من مرة مرّتين خلاص تملّها، صعب إنَّك ترجع تقرأها مهما كانت جميلة.

لكن كلام الله ﷻ أسألكم بالله هل تجدون شيئًا من الملل حينما تقرؤونه؟ بل في كل مرة والله كأنك تقرؤه أول مرة، وتقف فيه على نكات ولطائف وأشياء عجيبة، تشتهي أن تتأمله وتكتشف ممّا فيه من كنوز العلم والإيمان كلما قرأته. وهذا برهان على أنه كلام الله عز وجل، تأثيره تأثير عجيب.

۞ أيضًا من الدلائل والبراهين -وهو الدليل العاشر- أنّ الله سبحانه وتعالى يسّر هذا القرآن للذكر، جعله شيئًا ميسرًا.

ولذلك من عجيب شأن هذا القرآن أنّ الذي يقبل عليه ونفسه خاشعة مريدة للحق فإنه ينفتح باب الخير أمامه الذي يَرِده منه، كتابٌ إذا أقبل عليه الإنسان بصدق فإنه يصبح شيئًا سهلًا جدًا.

ولذلك من دقيق ما يتعلّق بالقرآن أنكم تعلمون وأنا أعلم أنّ من الناس مَن يستطيع أن يقرأ القرآن، ولكن إذا أعطيته أيَّ كتاب فإنه لا يستطيع أن يقرأه، وُجِد أناسٌ من الأعاجم ليسوا من العرب لا يعرفون أن يقرؤوا، لكنهم مع ذلك يقرؤون القرآن، أليس هذا عجيبًا؟ القرآن مكتوب بحروف عربية، ولا يفرِّق من حيث كونه مكتوبًا بهذه الحروف عن الكتب الأخرى، لكن تجد أنّ مِن الناس مَن يستطيع أن يقرأ القرآن ولا يستطيع أن يقرأ غيره، نجد من النساء والشيوخ يعني: من العجائز أو الشيوخ من هو أو هي أمِّي أو أميَّة ما يقرؤون، لكن مع ذلك يسهل عليهم أن يتعلّموا القرآن ويقرؤوه، لكن تأتيه بصحيفة أو كتاب يقف عاجزًا ما يستطيع، يقول: أنا لا أقرأ. القرآن شيء خاص.

تجد أنّ قراءته شيء عجيب، مميزة في كل العالم، كل المسلمين قراءتهم للقرآن شيء وقراءتهم لغيره شيء آخر.

إذن: هذا دليلٌ على أنّ الذي أنزله قد يسَّره، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:17].

إذن: هذه جملة من الآيات والبراهين التي تدلّ على أن هذا القرآن كلام الله عز وجل حقًا، والقرآن حينما نتكلّم عن إعجازه، نتكلم عن عظمته، فإننا نتكلم عن بحر لا ساحل له، كل كلمة، كل آية، كل حرف من هذا القرآن فيه إعجاز عجيب، ألفاظه معجزة، معانيه معجزة، نظمه معجز، آياته معجزة، أحكامه معجزة، عقائده معجزة، أخلاقه معجزة، إخباره بالمغيبات.. إلى آخره، كل شيء فيه مُعجِز، قراءاته معجزة، عجيب أن يُقرأ أو أن تُقرأ الآية الواحدة على وجهين أو ثلاثة أوجه أو أربعة أوجه وكلها حق، وكل وجه يدل على معنًى جديد وعظيم، وينفتح فيه باب من أبواب العلم وهو كلام واحد، ولكنّه يُقرأ بقراءات متعددة.

أيُّ كلام من كلام البشر حاله كحال هذا القرآن؟ لا شك ولا ريب أنه لا كان ولا يكون.

إذن: هذا كلام الله حقًا وصدقًا.

أنا ركّزتُ وأركِّز على هذا الموضوع؛ لأنَّ هذا الزمان الذي نعيش فيه قد كثُرت فيه الشُّبَه التي تصطاد الأغمار وضِعاف العلم من خلال وسائل متعددة ومنتشرة في هذا الزمان، تشكِّكُهم في كتاب ربِّهم، في نبوَّةِ نبيِّهم، بل في وجود ربهم سبحانه وتعالى.

وبالتّالي فنحن بحاجة ماسة إلى أن نتذاكر ونتواصى بمثل هذه المسائل والموضوعات، الدلائل والبراهين على أن هذا القرآن كلام الله، على صدق نبوة النبي ﷺ، شمائل النبي عليه الصلاة والسلام وجليل أخلاقه، مثل هذه

الموضوعات نحن بحاجة إلى أن نتذاكر فيها، وإلى أن نذكر بها، لا سيما الجيل الصاعد -كما يقال- والشباب والناشئة، هؤلاء بحاجة إلى أن يُذكَّروا بمثل هذا القرآن، وأن يعتنوا به، وأن يعتنوا بكلِّ ما يتعلّقُ بنبينا ﷺ من حيثُ سيرتُه وأحكامُه وسُنَّتُه ودلائلُ نبوّتِه، هم بحاجة ماسّة إلى هذا.

كثيرٌ من النّاس هجروا القرآن؛ لأنهم ما عرفوا عظمته ولا قدْره العليّ، اتّخذُوه مهجورًا، ولذلك إذا عرفنا قدره وقيمته فينبغي علينا أن نَكُبَّ عليه، هذا كلام الله، هذا وحي من الله سبحانه وتعالى. إذا كان القرآن بهذه المثابة فحريٌّ بكلِّ مسلم آمن به أن يعتني به.

ولذلك أعود فأقول: القرآن تنفتح أبواب ما فيه من العلم والإيمان لمن يقرؤه مريدًا للخير، وهذا -أيضًا- من أوجه إعجازه أنه كلام واحد، ومع ذلك فإنه يكون سببًا لهداية قوم وسببًا لتعاسة قوم، هذا شيء عجيب! أليس الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت:44] هذا قسم، ﴿وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت:44] سبحان الله العظيم! وهو كلام واحد، إذن: صدق الله ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت:41] من عِزَّته أنه لا ينال ما فيه من الخير إلا من يأتيه وهو صاغرٌ متواضعٌ يُريد الحقّ والخير. أما الذي يأتيه يمسكه بأطراف أصابعه وهو شامخ بأنفه، مستكبر عنه، مُعرض عنه؛ فإنّه يزيده عمى، كتاب عزيز.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لا يَهْدِيهِمُ اللهُ﴾ [النحل:104] الذي يقرأ هذا القرآن وهو لا يريد الهداية منه، ولا يؤمن بما فيه؛ هذا لا يهديه الله ﷻ، إنما

الذي يأتيه مُقبلًا عليه، مُحبًّا له، مُتواضعًا، هذا الذي ينال ما فيه من ينابيع الخير، والهدى، والعلم، والإيمان.

أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

والله أعلم.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.